

حسن الخاتمة والمداومة على الأعمال الصالحة

٣ شوال ١٤٣٧ هـ الموافق ٨ يوليه ٢٠١٦ م

أولاً: العناصر:

١. أحوال الناس بعد رمضان.
٢. الحرص على حسن الخاتمة.
٣. من أسباب حسن الخاتمة.
٤. من علامات حسن الخاتمة.
٥. نماذج من حسن الخاتمة.
٦. خير الأعمال ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ.

ثانياً: الأدلة من القرآن والسنة :

أولاً : من القرآن الكريم :

١. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].
٢. وقال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩].
٣. وقال تعالى: {وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٢-١٣٣].
٤. وقال تعالى: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: ١٠١].
٥. وقال تعالى: {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} [آل عمران: ١٩٣].
٦. وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: ٣٠-٣٣].
٧. وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بُعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [الزمر: ٥٣ - ٥٩].

٨. وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَغَيْرُ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: ٨].

ثانيا: من السنة النبوية:

١. عن علقمة (رضي الله عنه) قال : قلت لعائشة (رضي الله عنها): هل كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يختص من الأيام شيئا ؟ قالت: (لا ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً ، وَأَيْتُكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُطِيقُ) (متفق عليه).

٢. وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل : أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ) (رواه مسلم).

٣. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ) ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) (رواه مسلم).

٤. وعن بسر بن أبي أرتاة القرشي قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو: (اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ) (رواه أحمد).

٥. وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ) فقيل : كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: (يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ) (رواه الترمذي).

٦. وعن عمرو بن الحمق الخزاعي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ) قيل: وما عسله قبل موته؟ قال: (يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ

يَدِي مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ) (رواه ابن حبان).

٧. وعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) رجل مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله أقاتل وأسلم؟ قال: (أَسْلِمَ ثُمَّ قَاتِلْ) فأسلم، ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا) (متفق عليه).

٨. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي....) (متفق عليه).

٩. وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل وفاته بثلاث يقول: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ) (رواه الإمام مسلم).

١٠. وعن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (رَبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ) (رواه الإمام مسلم).

١١. وعن أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ سُؤَالٍ ، كَانَ كَصَوْمِ الدَّهْرِ) (رواه ابن ماجه في سننه).

ثالثاً: الموضوع:

إن المتأمل لسنة الله (عز وجل) في خلقه يرى سرعة انقضاء الأيام والشهور والسنين ، أيام تمرُّ وأعوام تكررُ ، وما الحياة الدنيا إلا أنفاس معدودة ، وآجال محدودة ، وفي ذلك عبر لمن دقق النظر وأحكم الفكر ، وفي تغير الأحوال مدكر ، يقول سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان: ٦٢].

لقد ودعنا شهر رمضان بلياليه وأيامه المباركة ، وودعه المسلمون وما زالت قلوبهم آسفة لفراقه ورحيله ، كيف لا؟ وهو شهر عُمرت فيه القلوب بالإيمان، وصفت فيه النفوس ، وهذبت فيه الأخلاق ، وحُكمت فيه الجوارح بمنهج الله ورسوله، وأخلص العباد فيه العمل لله (عز وجل). انقضى رمضان ، وربح فيه من ربح ، وخسر فيه من خسر ، فهنيئاً لمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً ، ويا حسرةً مَنْ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وليس له من قيامه إلا السهر والتعب. والمتأمل في حال كثيرٍ من المسلمين بعد مضي شهر رمضان ، يجد أنهم قد انقسموا إلى فريقين:

الأول: المؤمن الحق الذي أثر الصيام في أخلاقه وسلوكه ، فيعلم علم اليقين أن ربَّ رمضان هو رب جميع الشهور والأعوام ، فتجده دائم الصلة بربه (عز وجل)، فهو عبد رباني وليس عبداً

رمضاناً ، فيستمر على عبادته بعد رمضان ، والمحافظة على الصلوات وسائر العبادات ، والبعد عن المحرمات.

والثاني: حال العصاة والمذنبين فعادوا إلى أحضان الذنوب والآثام ، وقطعوا العبادة وانغمسوا في الشهوات والأهواء ، وعادوا إلى سيرتهم الأولى وكأن قلوبهم لم تتذوق حلاوة الإيمان ، وكأن جوارحهم لم تخشع لهيبة الملك الديان ، فبعد أن كانوا في رمضان أبراراً أتقياء صاروا بعد رمضان جبابرة أشقياء ، تعدوا حدود الله ، وهتكوا حرمة الله ، وصدق فيهم قول الله (عز وجل): {وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} [النمل: ٢٤]. فهل يليق بالمؤمن الموحد بربه أن يعود خائباً خاسراً بعد هذا التوفيق العظيم في العبادة والطاعة في رمضان؟!!!!

إن المؤمن الحق مطالب بالمداومة على الطاعات والعبادات ، فالطاعة ليس لها موسمٌ معينٌ ، حتى إذا ما انقضى هذا الموسم عاد الإنسان إلى المعاصي مرة أخرى ، بل إنها مستمرة دائمة بدوام حياة العبد وتحقق شروط تكليفه بها ، وهذا ما كان يفعله النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)، فلقد سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) : (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هَلْ كَانَ يَخْصُ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً) (رواه البخاري). وقيل لبشر الحافي - رحمه الله - : إن قوماً يتعبدون ويجتهدون في رمضان ، فقال: (بس قوم قوم لا يعرفون الله حقاً إلا في شهر رمضان ، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها).

إن المداومة والمواظبة على الطاعات والعبادات هو امتثال لقول الله تعالى: {وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩] ، وامتثال لقوله تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ* وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح: ٧-٨] أي: إذا انتهيت من عبادة وطاعة فتلبس بعبادة أخرى قاصداً بها وجه الله عز وجل.

ومن الأمور التي يجب أن يحرص عليها العبد حسن الخاتمة ، وحققتها: أن يوفق الله عز وجل العبد قبل وفاته للابتعاد عما يغضبه سبحانه وتعالى ، وبوفقه للتوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

ولقد دعانا ربنا تبارك وتعالى إلى السعي الجاد لحسن الخاتمة ، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

ودعا إليها الأنبياء والمرسلون أتباعهم ، فالله (عز وجل) يقول عن إبراهيم ويعقوب (عليهما

السلام) : {وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٢-١٣٣] ، ويقول على لسان يوسف (عليه السلام) : {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: ١٠١] ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) : أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : {إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ} ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) (رواه مسلم) ، وعن بسر بن أبي أرطاة القرشي قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو : (اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ) (رواه أحمد) .

وحسن الخاتمة رجاء الصالحين ، فقد كان الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) يخافون من مكر الله تعالى ، ويسألونه حسن الخاتمة ، ويستعيذونه من سوء الخاتمة. فمن دعائهم ومناجاتهم لله قوله تعالى : {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} [آل عمران: ١٩٣] .

وحسن الخاتمة من إرادة الخير بالعبد ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : {إِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَعْزُبُ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ} . فقل كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال : {يُؤَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ} (رواه الترمذي) ، والعبارة بالخواتيم ، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ، {إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمَّهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَاقِبَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضَعَّةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُ النَّارَ} (رواه البخاري) .

هذا : ولحسن الخاتمة أمور تعين عليها ، منها :

الإيمان بالله عز وجل ، والاستقامة على منهجه وصراطه : قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزِّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {فصلت: ٣٠ - ٣٣}، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند الاحتضار ، وفي القبور، وعند البعث منها □

ومنها: **الصدق في النية والعزيمة مع الله عز وجل** ، فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) رجل مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله أقاتل وأسلم؟ قال: (أَسْلِمْتَ ثُمَّ قَاتِلْتَ) فَأَسْلِمَ ، ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا) (متفق عليه واللفظ للبخاري).

ومنها: **حسن الظن بالله عز وجل** ، فإن الله (عز وجل) عند ظن عبده به ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي....) (متفق عليه واللفظ للبخاري) ، وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل وفاته بثلاث يقول: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ) (رواه مسلم)، فعلى العبد أن يحذر من القنوط من رحمة الله (عز وجل) ، وينبغي أن يكون قلبه معلقا بالرجاء في الله.

ومنها: **التوبة ، والإجابة لله عز وجل** ، قال تعالى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [الزمر: ٥٣ - ٥٩]، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَغَفِرَ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [التحريم: ٨].

وكما أن لحسن الخاتمة أسباباً تعين عليها فإن لها علامات تعرف بها:

منها: **النطق بكلمة التوحيد والإخلاص عند الموت**: فعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: قال

رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) (رواه أبو داود)، وعن يحيى بن طلحة، عن أبيه (رضي الله عنه) قال: (رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلًا. فقال: ما لك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتكَ إمرة ابن عمك يا أبا فلان؟ قال: لا. إلا أنني سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حديثًا، ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: (إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، إِلَّا أَشْرَقَ لَهَا لَوْنُهُ وَنَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ) قال: فقال عمر: إني لأعلم ما هي، قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله. قال طلحة: صدقت هي والله هي) (رواه أحمد).

ومنها: **الموت على عمل صالح يخدم به وطنه وأُمَّته**، وذلك كمن يموت وهو يؤدي واجب حماية أبناء وطنه ويرابط في سبيل الله عز وجل، فعن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ) (رواه مسلم).

ومنها: **الموت بعد ختام عمل الطاعة**، فعن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال: أسندت النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى صدري فقال: (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خْتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خْتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خْتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (رواه أحمد).

هذا وينبغي التنبيه إلى أن ظهور شيء من هذه العلامات، أو وقوعها للمتوفى، لا يلزم منه الجزم بأن صاحبها من أهل الجنة، ولكن من باب حسن الظن بحال العبد، كما أن عدم وقوع شيء منها للميت لا يلزم منه الحكم بأنه غير صالح أو نحو ذلك، فهذا كله من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله

وهناك نماذج كثيرة لمن حسنت خاتمتهم فيها من العبر والدروس ما يشجع المؤمن ويدفعه للعمل من أجل حسن الخاتمة، من هذه النماذج قصة الرجل الذي قتل مائة نفس الذي أخبر عنه النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم): فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (كَانَ فَيَمَنُ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنِ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنِ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ. فَانْطَلِقَ حَتَّى

إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِي فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَأَلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ . فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فِقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ (رواه مسلم).

ألا فليحرص كل مسلم عاقل على حسن الخاتمة لكل أعماله الدنيوية والأخروية ، الدنيوية لعمارة الكون ، والأخروية لتحقيق السعادة الأبدية وهي الفوز بجنة تجري من تحتها الأنهار فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أعدها الله (عز وجل) لتكون دار الكرامة لمن حسنت خاتمتهم وأجهدوا أنفسهم من أجل الوصول إلى محبة الحق جل جلاله.

مع التأكيد أن من أن من علامات حسن الخاتمة المداومة على الأعمال الصالحة ، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ : سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ : (أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ) (صحيح البخاري) ، فالواجب على كل مسلم أن يداوم على الطاعات في كل وقت وحين ، وأن يستمر على ما تعودته من الأعمال الصالحة ، ويحذر من المخالفات والمعاصي ، وينتهي عما حرم الله عليه ، قال الحسن البصري: إن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها، فإذا قبل الله العبد فإنه يوفقه إلى الطاعة ، ويصرفه عن المعصية . وفي صحيح الإمام مسلم يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): " أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ " .